العرب
السبت 2020/03/14
السنة 42 العدد 11646

في قيامة «القاشوش» السوري

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

مقالي اليوم ليس سياسيا بالمعنى الحرفي للكلمة، لكنه – وهذا مؤكد – يصبّ في متن الحالة السياسية السورية، إن لم أقل يؤثّر فيها، يقرأ إرهاصاتها ويرسم مشهدها المتخبّط مع ارتجاف إبرة بوصلة الولاء السوري وهل مازال مقتصرا على الولاء الخالص للدم الحر، أم أنه انحرف مسايرا اتجاهات تيار المال السياسي المنفلت بلا ضوابط، أو خاضعا للمصالح الأجنبية على تناقض مواقفها ودرجة هدمها أو دعمها للمشهد والإنسان السوريين؟

المراقب للحوارات السورية ضمن دائرة المعارضين للنظام السوري، وهم الفئة المعوّل عليها للتأسيس لمجتمع جديد بأفكار حيوية وروح من التسامح والانفتاح وقبول الآخر، وأقصد الحوارات التي تتم عبر وسائل التواصل الاجتماعي وفي مقدمتها واتساب الأكثر استخداما للتخاطب وتبادل المعلومات بين مجموعات المعارضة على اختلاف توجهاتها السياسية وولاءاتها، هذا المراقب، وأنا واحدة من المراقبين، يستطيع أن يسجّل حربا افتراضية بينية موازية للحروب الفعلية الدائرة على الأرض تدور رحاها على فضاء الشبكة، ودون هوادة، إلى أن يتيسّر لأحد الوسطاء إصلاح ذات البين أو إعلان هدن محدودة بين الأطراف المنخرطة في حرب السجالات غير المعلنة.

«حروب الآخرين» على الأرض السورية زجّت بالسوريين جميعا في مرجل واحد لن ينقذنا وينقذ سوريا من أتونه سوى العودة إلى وحدة الهدف والكلمة

ما يدعو للأسف أن الحال السورية الميدانية والسياسية والإنسانية، هي في أمسّ الحاجة إلى أقصى حالات التعاضد نظرا لخطورة الوضع الإقليمي ودقّته، وللحالة المتردّية التي بلغناها إثر حروب دائرة منذ تسع سنوات ونيف.

يختلف السوريون على التفاصيل حينا، وعلى الولاءات أحيانا، وعلى "الزعامة" – وهي افتراضية بدورها كسجالاتهم – معظم الأحيان. حدث هذا في مرحلة متأخرة من عمر الثورة السورية نتيجة تداخل القوى الفاعلة على الساحة السورية، عسكريا وسياسيا وإغاثيا، واختلاف مرجعياتها على المستويين المالي والسياسي.

فالثورة السورية التي انطلقت في مثل هذه الأيام من شهر مارس للعام 2011، سلمية سوريّة خالصة، تُرفع في مظاهراتها المدنية الشعارات والورود الشامية لا البنادق وصكوك الغرباء، ما لبث النظام الحاذق في ترتيب المؤامرات والمتمرّس بطرق القمع في حالتي السلم والحرب، أن دسّ بين صفوفها عناصر تحولت مع الوقت إلى مجموعات تنشر العنف والإرهاب وتقتات من ردود الأفعال على عملياتها الترهيبية التي كانت سببا أساسا في دخول جيوش منظمة لدول جارة وأخرى وصلت من وراء البحار، طامعة وذات مصالح في هذه الرقعة الجغرافية المتواضعة في المساحة لكن الهائلة في موقعها الجيوسياسي وتأثيره على الدول الإقليمية بعامة، والشرق أوسطية بخاصة.

وفي حال العجز السياسي الذي تعاني منه المعارضة السورية، والاستقطاب الذي يعوق أيّ مسعى تفاوضي أو دستوري كانت قد وصلت إلى مشارفه في خطوات بسيطة لم تكن كافية لتلجه من بابه العريض، نرى الحرب الدائرة على الأرض، والتي هي خارج سيطرة السوريين تماما، موالاة ومعارضة في آن، تنتقل إلى حروب افتراضية على مجموعات الواتساب الافتراضية.

الإسلاميّ الذي يكنّ ولاء أعمى لتركيا يتّهم العلماني بالسفسطة والارتهان للغرب الأميركي. وقارع الدف من الجماعات المحسوبة عقائديا على الفكر العروبي الشوفيني يرى في جهود دعم الأقليات شقّا للصفّ ونزعة انفصالية هدفها تقسيم البلاد بمساعي الغوغاء من الشعوبيين. أما الأيديولوجيون الذين ينتمون إلى اليسار السوفييتي البائد فمازالوا لا يعرفون إلى أيّ الجانبين سيميلون بعد أن تحولت روسيا الاتحادية – وريثة العهد السوفييتي – إلى دولة محتلة لبلدهم الذي خرجوا يدافعون عن وحدته واستقلاله وسيادته.

من نافلة القول إن نصف قرن ونيف من العيش في ظل منظومة سياسية تغيب فيها الفرص لتكون حكرا على قلة من المقربين من رأس الحكم في سوريا – الأب الأسد سابقا والابن لاحقا – هو سبب رئيس لتجذّر هذا النهج المبالغ فيه من الشك بشركاء المشروع الواحد، والانغلاق المبنيّ على الخوف والرهاب من ندرة الفرص، وضرورة التشبث فيها حين الوصول إليها وإقصاء كل صاحب كفاءة يمكن أن يكون بديلاً، وسط اعتقاد راسخ بأن هناك (سوريا ما يتربص في مكان ما لاقتناص الفرصة من صاحبها).

هذا ناهيك عن سياسة فرّق تسد التي كانت ولم تزل استراتيجية منهجية لدى النظام وأزلامه ينفخون سمومها بين أبناء الشعب الواحد من خلال نظام قام على الفرز العنصري، والاستناد إلى مرجعية الطائفة العلوية، في حين أن كبار مفكّريها كانوا ينفرون من آل الأسد ويمقتون استبدادهم وفسادهم، ويحسبون على عتاة منتقديه من أمثال المفكر المسرحي سعدالله ونوس، والدكتور الطبيب عبدالعزيز الخير، واللواء رفيق السلاح صلاح جديد... وغيرهم ممن تفنن الأب والابن في اختلاق أسباب ودواع لكمّ أفواههم أو تصفيتهم.

فصل المقال أن "حروب الآخرين" على الأرض السورية قد زجّت بالسوريين جميعا في مرجل واحد لن ينقذنا وينقذ سوريا من أتونه سوى العودة إلى وحدة الهدف والكلمة، واستنهاض الغاية السورية الوطنية الخالصة، تلك التي خرج لها السوريون أول ما خرجوا بأزهار القرنفل يرفعونها في المسيرات السلمية في شوارع مدن غوطة دمشق، لا يقصدون مالاً ولا مناصب ولا علاقات ولا محسوبيات، بل يرددون صوت الحق وقد أطلقته حنجرة القاشوش التي قطعها سكّين القتلة من المرتزقة ليتوقف عن الغناء صادحا "يا الله ارحل يا بشار"!.

الخليج العربي: مزاعم الإفلاس في ظل الهبوط الحاد لأسعار النفط

عمر علي البدوي
كاتب سعودي

ذكّر الهبوط الحاد لأسعار النفط والذي حدث نتيجة خفض السعودية أسعارها لبيع الخام ووضع خطط لزيادة كبيرة في إنتاج النفط الشهر المقبل، بالنذير الذي أطلقه صندوق النقد الدولي عن احتمال إعلان دول الخليج العربي إفلاسها خلال أقل من عقدين. وأعاد إلى الواجهة النقاش التقليدي عن اليوم المنتظر لنضوب الحاجة إلى هذه السلعة وعجز الدول الخليجية المعتمدة على النفط وحده عن الوفاء بمتطلبات نوعية الحياة التي ألفتها منذ ارتبطت مصيريا به.

كانت الدول الخليجية تتعامل مع هذا الاحتمال بالكثير من الحبر المسال عن فحص البدائل والتأسيس لمرحلة ما بعد النفط، لكن التحولات الكبيرة التي شهدتها بعض هذه الدول، المركزية منها مثل السعودية، وذات السبق في هذا المجال مثل الإمارات، تؤكد أنها ستحقق تغييرا وتصنع فرقا في طبيعة الاستجابة الواعية لتحديات نضوب هذه السلعة الثمينة. وتحمّل أعباء تحدّي الاستغناء أو التخفيف من حدة الاعتماد على النفط في ضمان استمرار واستقرار المستوى المعيشي والتنموي والاستراتيجي.

تراهن دول الخليج على مصدر جديد، وهو الغاز الذي يتوقع أن تحتل السعودية المرتبة الثالثة عالميا في إنتاجه عام 2030، بالإضافة إلى مقدرات الغاز الإماراتية التي قدرت بمخزون يبلغ حوالي 80 ترليون قدم مكعبة.

أطلق عدد من الدول الخليجية رؤى وخططا مستقبلية استعدادا لمرحلة ما بعد النفط. ليس هناك ما يضمن نجاحها. لكن يوجد تصميم تحتمه الظروف الملحّة على تنفيذها والعمل بها وعدم التساهل فيها كما حدث مع الكثير من الخطط السابقة.

تستهدف هذه الخطط تجهيز المجتمع لمستقبل خليج بلا نفط، أو نفط لا يساوي القيمة المألوفة له، لاسيما وأن المجتمع الذي بقي لعقود رهين نظام ريعي سخي، يتوجب عليه الآن أن يتحمل بالموازاة مع الحكومات أعباء التحول وتحدياته التي ستؤثث بمفاهيم اقتصادية وعلاقات تبادلية جديدة من قبيل الضرائب الانتقائية والتسعير الدوري للبنزين والمشتقات النفطية وتقليل الاعتماد على عطاءات الدولة في التوظيف والرواتب وخدمات الماء والكهرباء والصحة والتعليم وغير ذلك، وزيادة حصة القطاع الخاص في تشغيل الخدمات والقطاعات العامة.

أكثر ما يستنزف ثروات الخليج هو الاستهلاك المحلي، الذي بلغ درجات عالية من الإهمال والتسيب، وترك تأثيرا على قيمة ومردود تصديرها الخارجي الذي يثري ميزانياتها، وللتعويض عن الميزان غير المنضبط بين الإنتاج والاستهلاك ومن جهة الحفاظ على مستوى المعيشة المألوف في الخليج، تسعى هذه الدول لتعميق بدائل النفط في قطاع الطاقة.

وأصدرت دولة الإمارات مؤخرا أول رخصة تشغيل لمحطة براكة النووية ومثلها ستفعل السعودية قريبا، وربما بكميات كافية لسدّ حاجات الخليج بل وتصديره بعوائد مجزية لدول المنطقة، في ظل ما تتمتع به هذه الدول من قدرة لتمويل هذه المشاريع وتجهيزها على أفضل مثال.

أكثر ما يستنزف ثروات الخليج هو الاستهلاك المحلي الذي بلغ درجات عالية من الإهمال والتسيب وترك تأثيرا على قيمة ومردود تصديرها إلى الخارج

وتسعى دول الخليج لتوسيع الاقتصاد غير النفطي وتنويع موارد الدخل.

وتشكل دبي تجربة يمكن تعميمها. وظاهرة غير مسبوقة في راهن العرب بصفتها علامة تجارية راهنت على الاستثمار في ثقة رأس المال الجريء والمتطلع. ولعل مدينة المستقبل السعودي "نيوم" هي حاصل نسخة مطورة من هذه الفكرة وتحويلها إلى فضاء مفتوح وخصب تحج إليه الأموال التي ترغب أن تشترك في صفقة مع مستقبل المنطقة الواعد والآمن.

وقد سعت السعودية لتوفير المناخ الضروري لإنجاح التحدي وتذليل الشروط والعقبات اللازمة لتحقيقه على الصعيد الاجتماعي والتشريعي والاقتصادي. وأقدمت على تبنّي كمية هائلة من التحولات ومكافحة الفساد وبناء هياكل العمل الحر وإثراء الواقع الاجتماعي بأكثر ممّا كان متوقعا في حسابات المتفائلين.

الأمن الذاتي هو ضامن الاستقرار وطارد شحوب السياسة. ويتطلب الكثير من الاهتمام والجدية في تبنّي الأفكار المبتكرة حتى لو كانت حادة وضاغطة في أول الأمر، مع ملاحظة أن هذه التحولات الاقتصادية العميقة التي تحفر في طبيعة الواقع الاجتماعي والثقافي الخليجي سيكون لها أثرها على حالة العلاقات في الفضاء العام.

وستكون المواعيد السخية بالفرص التي ينتظرها الخليج مثل فعالية "إكسبو دبي" و"قمة العشرين" بالرياض، لحظات مفصلية لتثبيت المرحلة الجديدة في عمر هذه المنطقة، ومناسبة مفيدة لتدشين نقلة جديدة في مشوارها التنموي وحماية ما حققته من نجاحات وإنجازات بصفتها دولا مستقرة.

العواصم الخليجية كانت مدركة لخطر انحسار قيمة النفط، لكن متمهلة في اتخاذ تدابير الاستغناء عنه، وربما بحاجة إلى زيادة وتيرة هذه التدابير والصرامة في تنفيذها. وقد قال تقرير صندوق النقد الدولي نفسه إن "هذه الدول على الطريق الصحيح لكنها بحاجة إلى تسريع الإصلاحات المالية".

كورونا مؤامرة شيوعية!

فاروق يوسف
كاتب عراقي

"شيء ما يحدث في الخفاء. هناك تغيير كبير في موازين القوى في العالم يجري الإعداد له، وما فيروس كورونا سوى الغطاء".

تلك جملة صار الكثيرون يتداولونها وهم يتابعون تطورات حركة ذلك الشبح الخفي الذي صار البعض يتخيله حاضرا في كل شيء من حوله. تلك فرصة ذهبية لأتباع نظرية المؤامرة لكي يشبعوا رغبتهم في أن يروا العالم امتدادا لحفلة تنكرية تقيمها مؤسسات لا تُرى.

في سياق ذلك المنطق قيل إن هناك مؤامرة للحد من توسّع الصين الاقتصادي الذي لم يعد في الإمكان ردعه أو الحيلولة دون وصوله إلى مرحلة الشره.

في المقابل هناك مَن يقول إن الفكرة الجهنمية التي بدأت في ووهان ما هي إلا درس جديد، يؤكد من خلاله الصينيون على قدرتهم على زعزعة السلم العالمي. بحيث صارت الدول الكبرى حائرة وهي تعترف بعجزها عن حماية مواطنيها.

وإذا ما كان الحرس الثوري الإيراني قد دخل إلى المعركة تحت شعار قمع فايروس كورونا فإن مفهوم الحرب لم يكن غائبا عن محاولات التفسير السياسي لتلك الظاهرة المرضية.

هناك حرب، ضحاياها هم البشر الذين حصد أرواحهم فايروس كورونا. بمعنى أن ذلك الفايروس لم يكن وسيطا ليس إلا. أما القاتل الحقيقي فإنه مختبئ وراء الكواليس يراقب ردود الأفعال ويسجل مستويات الاستسلام.

ولأن الصين لم تستسلم للفايروس بالرغم من عنفه فقد صار سلوكها محط استفهام.

يُقال إن الصين ستحصد أرباحا هائلة من تصدير المصل المضاد لكورونا. كما أنها قد جنت في وقت سابق أرباحا خيالية من عملية تصدير الكمامات ومواد التعقيم. في سياق ذلك التفكير فإن الصين الشيوعية قتلت مواطنيها من أجل أن ترهب العالم وتذله وتجعله طوع إرادتها قبل أن تلقي له طوق النجاة. فالمختبرات الصينية التي طورت فايروس كورونا كانت قد ابتكرت الدواء الذي يقضي عليه. ذلك كله هراء لا يمكن التعويل عليه. لا لشيء إلا لأن ما كان في الماضي يقع في الخفاء صار يحدث في العلن. ما من شيء له علاقة بمقوّمات المؤامرة. صارت المؤامرة أسلوب عمل.

يمكن للولايات المتحدة والصين أن تفعلا ما تشاءان من غير الحاجة إلى أن يذهبا بعيدا عن الهدف من أجل الوصول إليه.

لقد ضحكت الصين على العالم بالبضائع الرخيصة غير أن الولايات المتحدة كانت من جانبها متخصصة في بيع أوهام رخيصة. ربح الطرفان الرهان فيما خسر العالم الحقيقة. لذلك لا يصدق أحد أن فايروس كورونا ظاهرة حقيقية. فهو إما أن يكون بضاعة صينية رخيصة أو وهما أميركيا مبتذلا.

سيرتاح الكثيرون حين تعلن الصين عجزها عن مقاومة الفايروس. إنها مؤامرة أميركية. أما إذا أعلنت الصين أنها انتصرت على الفايروس فإن ذلك سيعني اعترافا ضمنيا بأن المختبرات الصينية هي التي صنعت الفايروس.

لا يجدي نفعا في ذلك أن يقول المرء "نحّوا السياسة جانبا ولننظر إلى المسألة بطريقة علمية" ذلك لأن السياسة سطت على العلم بطريقة جعلت منه في بعض الأحيان خادما لمآربها المبتذلة.

وكما أتوقع فإن السياسيين يفرحون حين يُتهمون بالمسؤولية عن ظهور فايروس كورونا. ذلك لأنهم يضيفون صناعة الأمراض إلى مواهبهم الاستثنائية.

بالنسبة إلى عشاق نظرية المؤامرة فإن كورونا ليست مرضا قاتلا بل هي حلقة جديدة من حلقات الصراع بين الرأسمالية والشيوعية وتلك فكرة رخيصة تعمّق الحاجة إلى بضائع الصين الرخيصة ولا تنفيها. لذلك تبدو الصين منتصرة في كل الأحوال. غير أن كلمة العلم ستكون حتما هي الفصل بين الحقيقة والوهم.